كلية الآداب والعلوم الإنسانية - مكناس
شعبة التاريخ
الفصل الخامس

تاريخ المغرب في عهد الحماية

ذ.ميمون أزيزا

السنة الجامعية 2017-2018

الفصل الرابع
المقاومة المسلحة

أولا: المقاومة المسلحة ضد الاحتلال الفرنسي

1- مقاومة الشيخ ماء العينين في المناطق الجنوبية

منذ أواخر القرن التاسع عشر شرعت فرنسا في مساعيها للاستيلاء على المغرب، فمن الصحراء شنت هذه الأخيرة بتحالف مع إسبانيا إنجاز مخططها الرامي إلى استعمار المغرب وتجزئة ترابه وقد تصدى ببطولة الصحراويين لهذا المخطط الاستعماري الفرنسي الإسباني بالتنسيق مع السلطة المركزية المغربية، وكان الشيخ ماء العينين من أبرز وجوه المقاومة في هذه المنطقة الذي ربطته علاقات حسنة بالملوك العلويين من مولاي محمد بن عبد الرحمن حتى مولاي عبد الحفيظ، إذ يقدم لهم البيعة باسم قبائل الصحراء ويستشيرهم في معارك الجهاد ويطلب منهم المدد العسكري، وكانوا يعتبرونه .مجاهدا ينوب عن الدولة في مقاومة التسرب العسكري الأجنبي وقد كسب الشيخ ماء العينين ثقة أغلب القبائل الصحراوية التي اجتمعت عليه، حيث وجه الشيخ من "سمارة "نداء إلى سكان موريطانيا وكافة مشايخ الطرق الصوفية لخوض الجهاد ضد العدوان الفرنسي، وبعث رسلا قطعوا كافة أنحاء موريطانيا منادين بالحرب وبمؤازرة سلطان المغرب، فاستجاب له كافة الولاة، وتوجه بعضهم إلى فاس للتنسيق مع الحكومة المركزية. وقد حقق الشيخ ماء العينين بعض الانتصارات فطرد الإنجليز من طرفاية وحاصر الإسبان في الداخلة كما تصدى للزحف الفرنسي الذي كان يتسرب من جنوب موريطانيا انطلاقا من السنغال.

ففي سنة 1905 م، أرسلت القبائل الصحراوية باتفاق مع ماء العينين وفدا للسلطان بفاس حيث طلبت منه التدخل لدى الفرنسيين ليكفوا عن تسربهم في تلك القبائل أو تزويدها بالسلاح و إرسال من ينسق جهادها ضدهم . وقد أرسل المولى عبد العزيز ابن عمه المولى إدريس بن عبد الرحمان، وبعث معه عدة ظهائر لتعيين عدد من القواد، ونتيجة لنشاط الشيخ ماء العينين في أقاليم شنقيط وأدرار وللأسلحة التي وزعها على القبائل الصحراوية نشطت حركة الجهاد ضد الفرنسيين. وفي عهد السلطان المولى عبد الحفيظ توطدت العلاقات بشكل كبير بين سكان الصحراء والسلطة المغربية، وحل بمدينة مراكش وفد من قبائل الصحراء على رأسهم الشيخ ماء العينين سنة 1907 فجددوا للسلطان بيعتهم وطالبوه بكميات من الأسلحة للدفاع عن البلاد . وعلى إثر هذا الحدث احتجت فرنسا على المولى عبد الحفيظ مما اضطره لدعوة الشيخ للرجوع إلى الصحراء وزوده بما أمكن من الأسلحة فضلا عن المؤونة.

وإزاء هذا الوضع أرسل **غورو** حملة عسكرية لاحتلال أدرار تتكون من 24 ضابط و 44 من رجال المدفعية وألف مقاتل، دامت الحملة عشرة أشهر من ديسمبر 1908 حتى أكتوبر 1909 تعرضت خلالها لهجمات من الطوارق في الشمال والموريطانيين من الجنوب حيث تكلفت فرنسا خسائر فادحة. وفي 9 يناير 1909استولى الجيش الفرنسي على أطار عاصمة أدرار فانفتح الطريق الشمالي أمام قوات الاحتلال وأخذ المقاوم ون والقبائل ينسحبون إلى الساقية الحمراء في انتظار الفرصة السانحة لإعادة الهجوم ، وهكذا أصبحت وضعية الشيخ ماء العينين جد حرجة، فطلب منه المولى عبد الحفيظ الرحيل إلى تزنيت لكي لا يقع في أيدي أعدائه الفرنسيين. ورغم هزيمة ماء العينين إلا أنه استمر في الجهاد، فما إن علم بنوايا فرنسا التوسعية في سواحل المغرب الجنوبية، دعا قبائل سوس وتكنة والصحراء إلى تزنيت في فبراير 1910 وحثهم على ضرورة توحيد صفوفهم والاستعداد للذهاب إلى فاس لفك الحصار المضروب عليها، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل إذ تمكن الجنرال **موانيي** من هزم أتباع الشيخ في

قصبة أولاد زيدان، فاضطر هذا الأخير للعودة إلى تزنيت وحاول إعادة تنظيم صفوف القبائل لكن المنية وافته في شهر أكتوبر من نفس السنة، فخلفه إبنه أحمد الهيبة في رئاسة القبائل.

2- مقاومة الشيخ أحمد الهيبة

لم ينفع لا القمع المسلط على انتفاضة فاس ولا تنحي السلطان عبد الحفيظ وتنصيب المولى يوسف محله في إعادة الهدوء إلى البلاد، بل انتشرت على العكس من هذا حركات المقاومة في مختلف الجهات تحت شعار الجهاد، وهكذا قامت قبائل صحراوية و سوسية بمبايعة الشيخ أحمد الهيبة، نجل الشيخ ماء العينين ، الذي رأت فيه القبائل القائد المؤهل للجهاد وخاصة بعد توقيع السلطان عبد الحفيظ عقد الحماية 30 مارس 1912م4 ، وقد نادى أحد الدعاة وهو أبو البأكور من عند نفسه جهارا بأن الهيبة " أمير المؤمنين " كما أعلن بذلك المقربون إليه من الناس وتم ذلك ونودي في صلاة الجمعة بالأمير الجديد بتزنيت بعد أن جند الهيبة الوحدات العسكرية وعين أفراد حكومته، قرر احتلال مراكش عاصمة الجنوب لاتخاذها مقرا لسلطته، فخرج على رأس مسيرة ضخمة، حرص الجميع على أن لا تفوته فرصة المشارك وقبل دخوله إلى مدينة مراكش بايعه قواد المخزن الكبار ومن بينهم القائد المدني الكلاوي وأخوه التهامي، القائد عبد المالك المتوكي والقائد العيادي، وفي شهر غشت 1912 دخل الهيبة مراكش وبويع فيها رسميا بالمسجد الأعظم.

-**معركة سيدي بوعثمان:** كان لدخول الهيبة مراكش واستقرار موكبه صدى كبير، اخترق ربوع المغرب واستبشر به الجميع، غير أن أوضاع المدينة إضطربت في يده، بسبب مناورات القياد الكبار وتقلب أحوالهم، حفاظا على مصالحهم وعلاقاتهم بالفرنسيين وارتباطهم بالقبائل ومما ا زد الأمر تعقيدا احتفاظ المدينة بالأسرى الفرنسيين الذين سبق ذكرهم في خضم هذه الوضعية باشر الهيبة في تنسيق المقاومة ضد قوات الاحتلال الفرنسي التي كانت تعد لتنفيذ هجوم حاسم على مراكش، فقد عين الجنرال ليوطي لقيادة الحركة الجنرال مانجان الذي استطاع احتواء القواد الكبار المناوئين للهيبة.

استمرت مقاومة الهيبة إلى أن توفي بكردوس سنة 1919 م وهو في الخامسة

والأربعون من عمره وبعد وفاة الهيبة قام علماء وقواد سوس بالإجماع على تعيين الشيخ مربيه ربه رئيسا للمجاهدين، فظل يجاهد ويشرف بنفسه على العمليات العسكرية، وبعد إشتداد الحملات حاكم المنطقة الجنوبية، غادر (Katroux) العسكرية الفرنسية التي قادها الجنرال كاترو الشيخ إلى طرفاية ليستقر بها. وكانت المقاومة في عهده ترتكز على المناوشات خصوصا من سنة إلى سنة 1934.

3- الكفاح المسلح في الأطلس المتوسط

لقد انخرطت قبائل الأطلس منذ البداية في صفوف المجاهدين ضد الاحتلال الفرنسي في الحدود الشرقية وفي بلاد الشاوية خاصة، وهكذا بدأت حركة الدعوة للجهاد تستنفر سكان المنطقة منذ وقت مبكر، ومنذ قنبلة الدار البيضاء أخذ زعماء المقاومة الأطلسية موحا أوحمو الزياني، موحا وسعيد، سيدي علي مهاوش (...يعدون الفلاحين للجهاد ويتحركون، على مسافات واسعة من أجل الدفاع عن بلادهم . سعى ليوطي جاهدا لإخضاع القبائل العاصية للقانون الفرنسي وإعطاء الاحتلال الفرنسي حدودا منسجمة من أغادير إلى دبدو يمكن أن تستخدم كحدود مؤقتة للتوسع وذلك بافتتاح طريق تازة الذي حقق وصل المغرب الغربي بالشرقي واحتلال بلاد زيان كانت قبائل زيان التي يتزعمها موحا أوحمو تشكل تهديدا دائما للفرنسيين، فقد هاجمتهم في الشاوية 1908 م وفي فاس 1919 م وهاجمت خط المواصلات مكناس–الرباط 1912م وشمالي تادلة 1913 م . وقد سعت فرنسا إلى كسب موحا اوحمو بمختلف الوسائل :الإغراء بالمال والنفوذ والسلطة ولكنها باءت كلها بالفشل .

-**معركة خنيفرة 12 جوان 1914 م**: إزاء هذه الظروف أدرك الفرنسيون أن العمل العسكري الأسلوب الوحيد الذي يمكنهم من تحقيق نتائج جدية في إقليم زيان، ومع بداية ربيع 1914 م قام الفرنسيون بتأسيس مركز عسكري عند مولاي بوعزة، واعتقدوا أنهم سيتمكنون من تفكيك تجمع القبائل الزيانية، لكن تأسيس هذا المركز كان بمثابة إنذار أيقظ الزيانيين لمواجهتهم في حالة غزو الإقلي بعد نجاح القوات الفرنسية في احتلال تازة 17 ماي 1914 م، كلف ليوطي قيادة الحملات في إقليم زيان إلى الجنرال هينريس، الذي بدأ الهجوم على المنطقة في10 يونيو بأكثر من 30 ألف جندي، ونجحت هذه القوات بعد معركة ضارية 6 في 12 يونيو باحتلال خنيفرة قصبة زيان ، وحقق الفرنسيون بهذا النصر فتح الطريق بين عواصم الشمال والجنوب، ولكنهم لم ينجحوا في إخماد المقاومة نهائيا، ذلك أن موحا أ وحمو لم يستسلم وانسحب إلى الجبل، واكتفى هينريس بفرض الحصار عليه ينتظر أن يضطره البرد وانقطاع المؤن إلى ترك الجبل وقبول الخضوع .

-**معارك صيف 1914 م**: استمرت المعارك طيلة صيف 1914 م ولم يسلم مركز من م ا ركز تجمع الجيش الفرنسي من هجوم قوات موحا أوحمو 15 يونيو قام المقاومون بشن هجوم عنيف، من جميع الجهات ضد معسكر القوات الفرنسية في المدينة، وعلى إثر هذا الهجوم قام **الجنرال هنريس** صباح يوم 15 يونيو بتشكيل وحدتين قتاليتين تضمنت حوالي عشرة ألاف رجل لتعقب المقاومين وجمت هذه القوات جهودها إلى تخريب القرى و اتلاف المحاصيل الزراعية و الإستلاء على المواشي مما أجبرت المقاومون التراجع خفت الاشتباكات في النصف الثاني من شهر يونيو نظرا لموسم الحصاد، لكن في يوم 30 من هذا الشهر اشتبك المقاومون بالقوات الفرنسية بين جبلي تاغاط وأقلال في معركة حامية، كبدت العدو 17 قتيلا من بينهم ضابط من رتبة قبطان و 77 جريحا .

- **معركة الهري 13 نوفمبر 1914 م**: خلال شهر سبتمبر وأكتوبر ظهر نوع من التوازن عند كلا الطرفين، فالفرنسيون إحتفظوا بم ا ركزهم في الإقليم حتى وهي محاصرة وشبه مشلولة والمقاومون من جهتهم تجمعوا على الضفة اليسرى من نهر أم الربيع وتركزوا على الخصوص في منطقةالهري، وعلى إثر هذا الوضع قرر قائد الحامية الفرنسية لافيردير عملية خاطفة ضد الهري – وهو مكان يقع على بعد حوالي خمسة عشر كيلومترات جنوب شرقي خنيفرة مقر إقامة قائد المقاومة، لأسره أو قتله و للقضاء على المقاومة في الإقليم خرج لافيردير في ليلة ممطرة 12 نوفمبر 1914 بعد أن جمع كل قواته لمهاجمة قرية الهري وعند الفجر بدأت المدافع الفرنسية بقصف مخيم موحا اوحمو وقبيلته وكانت المفاجأة كبيرة داخل المخيم الزياني، التي نشرت فيه الرعب، حيث خرج الزيانيون مصعوقين ومذهولين، فقد داهمهم الجنود فجأة، وما أن أدرك موحا أو حمو أنه مستهدف من قبل العدو حتى خرج على خيله مسرعا واتجه نحو الجنوب، أما المخيم فقد تعرض لمجزرة مروعة وأضرمت النار في خيمة القائد إعتقد **لافيردير** إثر هذا الإكتساح العسكري أنها النهاية بالنسبة للزيانيين، لكن سرعان ما عاد موحا أوحمو إلى ساحة القتال فحوصر العدو من طرف المقاومين الذين هاجموا الحامية الفرنسية يوم 13 نوفمبر ، وأبادوهم عن آخرهم، بعد معركة عنيفة ، فقد فيها الفرنسيون السيطرة على الوضع، واختفت القيادة بموت لافيردير كما فقد الجيش الفرنسي 35 ضابطا و 700 قتيلا، وغنم المقاومون 8 مدافع و 700 بندقية وعددا كبيرا من العتاد ، وعلق ليوطي على هذه الهزيمة بقوله " :أن تاريخ فرنسا الإستعماري لم يشهد خسارة في العتاد والأرواح مثل خسارة الهري" ، بينما حاولت جريدة السعادة التخفيف من .وقعها واعتبرتها" بأنها عارض من عوارض الحرب فقط لم تؤثر على عموم المنطقة " لقد خلق الانتصار الذي أحرزه موحا أوحمو نشاطا في حركة المقاومة وخاصة في البوادي المغربية، وقد أستمر في مواجهة العدو إلى غاية مقتله سنة 1921م، حيث تقدم العمل العسكري بسرعة .فمنذ سنة 1923 م نجح الفرنسيون في إقامة مراكز جنوبي الأطلس تغطي وادي أم الربيع و طريق فاس – مراكش عبر خنيفرة .

4- المقاومة في الأطلس الصغير و الكبير

إستمرت المقاومة في مناطق مختلفة من الأطلس بعد إستشهاد موحا أوحمو وظل جيش الإحتلال يواجه المقاومة العنيفة هنا وهناك، حتى لم يبقى من جيوب المقاومة إلا **آيت عطا** في الجنوب وقائدها عسو أوبسلام . ولكن إتمام إخضاع الأطلس الكبير كان .يتوقف على إخضاع المقاومة في جبل صاغرو معقل آيت عطا

كان الفرنسيون سنة 1930 م، وهم مقبلون على"عمليات التهدئة "بمناطق واحات

زيز، فركلة، تودغة، دادس ثم درعة، يدركون جيدا أنه يستحيل عليهم السيطرة على هذه المناطق، ما لم تتم لهم السيطرة على قبائل آيت عطا التي كان لها حضور قوي في هذه الواحات . تحركت القوات الفرنسية بدائرتي تافيلالت ورزازات خلال سنتي 1931و 1932 لإحتلال أدوية تودغة، إيميضر، دادس، تازريت، الرك، زيز، غريس ودرعة، ففي دائرة القائد العسكري لناحية مراكش، بنفسه على (Catroux) ورزازات. وفي النصف الثاني من شهر نوفمبر 1932 م قاد هذا الأخير عمليات احتلال دادس، وإيميضر وتودغة حيث أخضع قبائل هذه الجهات أما تافيلالت فقد قام على تنفيذ عمليات احتلالها في نوفمبر 1931. وفي 13 فبراير 1933 قررت سلطة الحماية إحتلال جبل صاغرو، فكلفت قيادة العمليات العسكرية للسيطرة عليه إلى الجنرال **جيرو**، وكانت قواته تضم فيالق من المرتزقة الأجانب والفرنسيين نحو 9000 جندي والآليات الفعالة، 44 طائرة ومدافع قوية، اصطدمت قوات الاحتلال بمقاومة عنيفة تكون المقاومون كانوا يحيطون بالجبل من مختلف الجهات، وتعرضوا لهزيمة نكراء فقدوا خلالها أربعة ضباط، وقد إحتمى المجاهدون بالكهوف والمغارات واستطاعوا إلى جانب هزيمة الكتائب المتقدمة إسقاط طائرة حربية ، ومما أعطى المقاومة نفسا قويا، استيلاء قبيلة **ألمشان** بقيادة الشيخ عسو أوبسلام على 117 بغلة محملة بالسلاح والذخيرة، بعد القضاء على الفرقة التي كانت تحرس القافلة . تمركزت قوات المقاومون داخل جبل صاغرو لمواجهة الجنرال جيرو الذي رتب قواته أمام الجبل. وفي 24 فبراير تعرض جبل صاغرو للقصف وانتهى الهجوم بفشل ذريع بفضل صمود المجاهدين بقيادة عسو أوبسلام.

5- المقاومة الريفية للاحتلال الإسباني

موضوع المقاومة المسلحة في الريف يكتسي أهمية قصوى نظرا للدور الخطير الذي اضطلعت به في حماية البلاد من الاحتلال الأجنبي . وقد اتسمت المقاومة في هذه المرحلة بكونها عفوية، فهي تمثل ردود الفعل التلقائية و التي شاركت فيها كل الشرائح الاجتماعية.

تعتبر المرحلة الممتدة بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين فترة حرجة من تاريخ المغرب تميزت بظهور اضطرابات داخلية و ازدياد الضغوطات الخارجية والتنافس الأوربي من اجل احتلال البلاد. واستغلت هذه الدول ضعف المخزن المغربي لتطبيق مخططاتها التوسعية و التوغل في البلاد بطرق شتى. أصبحت تنظر إلى المغرب كلقمة سهلة يمكن الظفر بها بطريقة من الطرق سلمية كانت أم عسكرية و الدول التي كان لها دور كبير في تقرير مصير المغرب هي فرنسا، انجلترا،ألمانيا ثم إسبانيا.

وكان احتلال فرنسا للجزائر نذيرا بالخطر بالنسبة للمغرب، فلقد قال أحد المنظرين للسياسة الاستعمارية في الجزائر "أوجين اتيان": "ان لفرنسا في المغرب حقوقا وواجبات تفوق ما لغيرها من الدول الأخرى وأن الأساس الأول لحقوقنا هي الجزائر. إن الجزائر قادتنا إلى تونس وينبغي أن تقودنا إلى المغرب"[1]، في حين كانت إسبانيا تحاول توسيع منطقة نفوذها بالداخل انطلاقا من حصنيها متمسكة بحق الجوار وبما كانت تسميه بالحقوق التاريخية من خلال احتلال كل من سبتة و مليلية.

-مقاومة الشريف محمد أمزيان بمنطقة قلعية (الناظور: 1909-1912)

ولد الشريف محمد أمزيان سنة 1859، أسست عائلته زاوية في أزغنغان قرب مدينة الناظور عرفت بزاوية أولاد أحمد عبد السلام القلعي، تلقى تعليمه في المسجد كسائر أبناء الريف في تلك الفترة، اشتغل منذ شبابه في التجارة، خاصة بين

---

[1] محمد خيرفارس، المسألة المغربية 1900-1912 ،مكتبة دار الشروق بيروت، ص 62- 63

الريف والجزائر، وقد عرف بحميد الأخلاق ومساعدة الناس، لذلك حظي باحترام الريفيين، ولمكانته هذه كان يشرف على العقود الجماعية، ويقصده الناس لتسوية النزاعات. ويعتبر من زعماء الجهاد الذين واجهوا الاحتلال الإسباني منذ بدايته حيث تزعم منذ 1909 حركة مقاومة عنيفة ضد التسرب الإسباني في منطقة قلعية. كما ساهم مع أعيان المنطقة في طرد الجيلالي الزرهوني (بوحمارة) من المنطقة. فلما حاول الإسبان احتلال منطقة الناظور حيث توجد مناجم الحديد، للشروع في استغلالها، تصدى لهم الشريف محمد أمزيان على رأس المجاهدين، وكبدهم خسائر جسيمة، في معارك واشتباكات عديدة ناهزت المائة معركة. وقد دامت عملية المقاومة من 1909 إلى 1912 حين استشهاده يوم 14 ماي 1912. وبعد موته شرع الإسبان في توسيع احتلالهم لمنطقة الريف.

اتسمت المرحلة الأولى من المقاومة المسلحة في الريف بكونها مقاومة عفوية ، فهي تمثل ردود فعل تلقائية ضد التدخل الأجنبي. وكان هدفها هو القضاء التام على الاحتلال و تقويض أركانه. وحركة الشريف محمد أمزيان تدخل في هذا السياق. و لفهم طبيعة و سياق تكوين هذه الحركة يستحسن الرجوع قليلا إلى الوراء. لقد كانت جزيرتا النكور وبادس تمثلان أهمية قصوى بالنسبة للمغرب باعتبارهما منفذين تجاريين لذلك اهتم المخزن المغربي باسترجاعها إلا أنه فشل في ذلك. لكن القبائل الريفية المجاورة فرضت حصارا على هاتين الجزيرتين. و قد ازدادت القبائل الريفية حماسا في ضرب الحصار عليها بعد احتلال الجزائر عام 1830.هذا الاحتلال الذي بين الأخطار الأجنبية على المغرب. غير أن انهزام المغرب في حرب تطوان عام 1860 جعله يقدم بعض التنازلات للإسبان في ناحية مليلية كان من شأنها أن تفك الحصار المضروب على الجزيرتين، مما خلف وقعا سيئا لدى السكان. وكانت هذه التنازلات بداية لمرحلة جديدة، إذ أخذ الريفيون يبحثون عن قيادة لتعبئة الطاقات ضد الإسبان وقد تمثلت هذه القيادة أولا في بروزشخصية دينية ذات نفوذ محلي هو الشيخ ميمون، و بقيادته قامت قبائل قلعية بعمليات حربية ضد الإسبان في مليلية و خاصة عام 1893 "حرب سيدي ورياش". وعندما ظهر الجيلالي الزرهوني المعروف بأبي حمارة قامت القبائل الريفية بالترحيب به و الالتفاف حوله لأنه رفع شعار الجهاد ضد الأجانب، غير أن هذا الأخير سرعان ما انكشف أمره بعد أن قام ببيع مناجم الريف الإسبان، فحاربوه وطردوه من بلادهم. واتجهت أنظارهم بعد ذلك إلى شخصية جديدة جسدت الروح الحماسية والإرادة الكفاحية لديهم و هو الشريف محمد أمزيان. ظهر هذا الزعيم على مسرح الأحداث عام 1909 أثناء الحرب التي خاضها سكان قلعية ضد إسبانيا التي خرجت من مليلية و قامت ببعض الأشغال لربط مناجم وكسان بهذه المدينة عن طريق السكة الحديدية. وقام الشريف أمزيان بدور كبير في استنفار القبائل حيث كان يطوف بالأسواق ويدعو الناس لمحاربة الإسبان. وبناء على طلبه انعقد في 5 يوليوز 1909 مؤتمر عام في قبيلة مزوجة تقرر في أعقابه خوض غمار الحرب. و فعلا قام مجموعة من الثوار بهاجمة العمال العمال الإسبان بمناجم أوكسان و أرغموهم على الفرار. و كان جيش الاحتلال ينتظر الفرصة المناسبة للتدخل، فتحرك لحماية المناجم. وقد إسبانيا بالحماس الثوري الذي ساد الريف مما جعلها تجلب المزيد من الوحدات العسكرية. وفي 23 يوليو 1909 شن الإسبان هجوما جديدا غير أن الريفيين كانوا قد أعدوا عدتهم وتمكنوا من إرغامهم على التراجع نحو مليلية بعد تكبيدهم خسائر فادحة.

أخذ محمد أمزيان في هذه الفترة يتصل بالقبائل ويستحثها على الجهاد، واستعدت القبائل لخوض غمار الحرب، فاحتشدت الجموع الوافدة من شتى القبائل والتفت حوله، إذ أن المجاهدين تحصنوا في مراكزهم بجبلي سيدي أحمد الحاج وتازوطا المشرفين على مليلية وكان المجاهدون ينزلون ليلا ليعترضوا قوفل العدو وهاجم المجاهدون المراكز الإسبانية بسيدي موسى حيث تكبد الأعداء الخسائر مما كان له أسوأ الأثر في إسبانيا فعزمت حكومتها على الانتقام وأرسلت الجنرال **بينتو** لقيادة جيشها المحارب وذلك في يوليوز 1909 ولما سمع المجاهدون بهذا استعدوا أكثر لصد هجوم العدو، ونشبت المعركة واستعمل القتال بالسكاكين ممن لم يكن معهم سلاح، ولاذ جيش العدو بالفرار، والمجاهدون يلاحقونه بالقتل حتى دخلت أشلاءه مليلية. وكانت المعركة أشد ما خاضه الريفيون، واستشهد منهم عدد قليل، وفي أكتوبر 1909 هاجم الإسبان من الناضور بجيش بلغ 170 ألف مقاتل ولما تأكد الأعداء من ضعف المجاهدين تقدموا نحو سلوان فاحتلوها ثم اتجهوا نحو جبل وكسان حيث المعادن ونشبت المعركة بقيادة أمزيان وكانت

الهزيمة للأعداء الذين أحاطت بهم قوات المجاهدين، من كل وفر الجنرالات من ميدان القتال بالرغم من هذه الهزيمة تمكن الإسبان من احتلال المرتفعات بجبل سيدي أحمد الحاج وتازوطا ومنها كانوا يقنبلون بمدافعهم للسكان، وتوالت الاحتلالات حتى وصلت إلى واد كرت في 1909 فانسحب أمزيان مع المجاهدين من قبيلة قليعة إلى قبلة مطاسة، بينما اشتغل الإسبان بتنظيم احتلالهم في المنطق التي استولوا عليها. فبفعل الغارات التي كان يقوم بها إمزيان وأنصاره من الريفيين تمكنت إسبانيا من إخماد الثورات الداخلية ، وهيئات جنودها لمواجهة حركة أمزيان كما تمكنت من إغراء بعض القبائل بالمال وشراء ضمائرهم مما أدى إلى ظهور التقاعس في صفوف المجاهدين وتجلى ذلك قبيلة قليعة وبني شيكر ومزوجة خاصة، حيث تراجع أمزيان إلى غرب كيرت كما أسفرت المفاوضات بين الإسبان والمغرب على وضع المنطقة المحتلة تحت المراقبة المشتركة للإسبان والسلطان ونتيجة لعدم استطاعة المخزن من القضاء على المشاكل التي يقوم بها الريفيون، عمل على تلبية مطالب الإسبان وكذلك الرغبة في الصراع بين الإسبان وسكان الريف.

وبناء على هذه الأحداث انعقد في 1909 مؤتمر في قبيلة مزوجة تقرر في أعقابه خوض غمار الحرب، وبالفعل عمدت جماعة من الثوار إلى مجابهة الإسبان العاملين في منجم القبيلة البويفرورية، وأرغموهم على الفرار بعد أن خلفوا في الميدان ستة قتلى، وكان جيش الاحتلال ينتظر الفرصة المناسبة للتدخل فتحرك لحماية المناجم وعسكر فيها بين السفح الشرقي لجبل كركو والبحر، مما جعلها تستورد مجموعة من الوحدات العسكرية من إسبانيا، غير أن الريفيين كانوا قد أعدوا عدتهم ،وتمكنوا من إرغامهم على التراجع نحو مليلية بعد تكبيدهم خسائر فادحة. وقد خلفت لهذه المعرك داخل إسبانيا انعكاسات عميقة، وهذا ما أدى إلى التهافت وتعالت الأصوات تدعوا إلى وضع حد للمغامرة الاستعمارية الإسبانية.

وبفعل الذخائر والعتاد الحربي الذي غنمه الثوار تمكنوا من رفع مستوى الكفاح وعندما تمكنت إسبانيا من القضاء على المعارضة الداخلية، بدأ الريفيون يتقاطرون على الجبهة الغربية لتعزيز المقاومة الشعبية، كمقاومة الشريف محمد ولد سيدي الحسن، وحتى بعد استشهاده محمد أمزيان ، وهكذا تحمل الإسبان وقع هزيمتهم بوادي الديب بقيادة ضباط كبار، حيث تقهقر الجيش الإسباني متكبدا أعظم الخسائر، وإلا أن الغدر والخذلان في صفوف المجاهدين لصالح الأعداء فانقضوا حول البطل أمزيان الذي لم يعمد معه إلا الصابرون الثابتون . وفي هذه الأثناء توجه القائد إلى قبائل بني ورياغل وتمسمان وبني سعد وبني أوليشك وبني توزين وغيرها، وصار يستنصر رجالها وذلك سنة 1910 وكان الأعداء على علم من تحركات أمزيان بواسطة خونة بعض القبائل، وكانت بني ورياغل تحرص على مسالمة الإسبان لمواصلة التعامل معهم حجرة النكور وبعدها أيقن الإسبان من تكتل القبائل استعدادا للحرب، قرروا استعمال الأسطول ضد بني ورياغل فواجهت قبائل الشاطئ في أكتوبر 1911 جيوش العدوان حتى تراجعت بأسا من الساحل وجبالة والوعرة. واتخذ المجاهدون مركزا جديدا هو أجنادة في بني سعيد ووصل إليه في دجنبر 1911 نحو 12 ألف مجاهد من قبائل بني ورياغل، بفيوة وبني بوفراح وبني عمار توتمسان وبني توزين واتجهت هذه القوات بقيادة أمزيان إلى قبيلة بني بوغافر، فنشبت المعارك مع العدو بحيث هاجم المجاهدون مركزي إزحافا، وأمعروفا بقيادة أمزيان غير أنه في 15 ماي 1912 اصطدم أمزيان وهو يقوم بجولة استطلاعية بجند من العدو ولم يكن بإمكانه مواجهتهم أو تفاديهم لكثرة عدده، على أنه لما تفطن إلى أنهم ريفيون من هؤلاء النظاميين المجندين من طرف إسبانيا، فتقدم نحوهم وهو يقوم بإشارات كبيرة: إنما ينوي التحدث إليهم ، غير إنه سقط سريعا قبل أن يتسنى لهم التعرف عليه بعد التأكد من هوية الجثة نقلت إلى مليلية، إلا أن القائد **ألدافي** لم ينتظر حتى هذا الحين. إذ قام منذ اليوم التالي أي 16 ماي بتوجيه خطاب إلى القبائل أذيع على نطاق واسع يقول فيه: إن الله سيد الكون قضى البارح بأن يميت في ميدان المعركة. الشريف محمد أمزيان الذي كان يحرضكم على الحرب، فكأنما تعالى به بنصحكم على العكس بالسلم، أذعنوا إذا لمشيئة الله وتقبلوا ما قدره ."

إن وفاة أمزيان خلال هذه المعركة، والأثر الذي خلفه هذا الحادث داخل المنطقة المحتلة التي بقي فيها الأهالي أياما طوال متحيرين مترددين في الموقف الذي ينبغي عليهم اتخاذه لفرض ما ألم بهم من وهن، بل ومن ذهول من جراء فقدان أمزيان، ذلك

المعلم الأكبر الذي يعتبرونه مبعوثا من الرسول صلى الله عليه وسلم لتخليص المسلمين من الاحتلال. ونعلم الفتور الذي نجم عن غياب هذا المجاهد من ساحة المعركة، عوض توحيد القبائل وترصيص صفوفها أمام العدو، فأصابها الإنقسام والإنشقاق. وبفقدان أمزيان فقد أهل الريف المستقل مباشرة كثيرا من حميته فقد كانت ملحمة أمزيان لهي حلم بوحدة تلاشت في نفس اللحظة التي تحققت فيها حل، حلم سيظل يراود أذهان الريفيين لأنهم لم يفقدوا الأمل في تحقيقه مرة أخرى .كما أن فقدان محمد أمزيان وكأن روح شريرة أخذت فجأة في إثارة الأسر والأحقاد والقبائل بعضها ضد البعض الآخر، وكل خصومه بين الجيران حتى التافهة منها. كانت تتحد وتتزايد كما لو أن الناس فقدوا رشدهم، بحيث يخيل أن الريفيين بعد أن فقدوا محمد أمزيان بقوا وحدهم لم يعودوا يصلون لسيء ، ضف إلى ذلك أن فقدان أمزيان ونهاية المعارك على كرت سيمكنان الإسبان من إعطاء الأولوية من جديد للعمل السياسي على العمل العسكري .كما إن إخفاق أمزيان من الساحة، عاش الريفيون 9 سنوات من المقاومة المضطربة والصراعات السياسية، قبل أن يتمكنوا من تنصيب زعيمهم الثاني. وهكذا استمر الجيش الإسباني في مخططه الاحتلالي للبلاد دون مقاومة تذكر على الصعيدين الوطني أو الإقليمي إلى أن ظهر هذا الزعيم

الشريف محمد أمزيان

- **محمد بن عبد الكريم الخطابي**

ولد محمد بن عبد الكريم الخطابي في أجدير، وهو ينتسب إلى قبيلة بني وريا غل، والده عبد الكريم الخطابي كان قاضي القبيلة. عرفت الأسرة الخطابية بالمكانة العلمية والسياسية لرجالاتها الذين شغلوا مناصب القيادة والقضاء في منطقتي الريف الأوسط والغربي. تلقى محمد تعليمه الأولي المتمثل في حفظ القرآن والتعاليم الدينية في أجدير، قبل أن ينتقل للدراسة في مدينة تطوان ثم فاس خلال فترة دراسته في فاس. كانت بداية الحياة المهنية لمحمد بن عبد الكريم الخطابي، في مليلية، التي زاول بها مهنة التدريس لفائدة الساكنة المسلمة، بين 1907 و1913. مكنه تكوينه الجامعي وضبطه للغة الإسبانية للاشتغال كمترجم وكاتب بالإدارة المركزية للشؤون الأهلية بمليلية سنة 1910. كما اشتغل بالموازاة مع ذلك كصحفي بيومية تيلغراف الريف وعلى غرار والده، تم تعيينه سنة 1913 قاضيا، ثم رقي سنة 1914 إلى منصب قاضي القضاة، بظهير شريف وبأمر من المقيم العام الإسباني عن سن 32 سنة. وتبوأ بذلك أرفع درجة في سلك القضاء الخاص بالساكنة المسلمة للمدينة مليلية .وفي نفس السنة، عين أيضا كمعلم بأكاديمية اللغتين العربية والريفية بمدرسة الشؤون الأهلية بمليلية.

وقد كان محمد بن عبد الكريم الخطابي كان إلى حدود هذه المرحلة مؤمنا بالتعايش السلمي مع المستعمر، وذا مكانة محترمة لدى السلطات الاستعمارية ويستدلون على ذلك بالوظائف التي شغلها في سلكي التعليم والقضاء .أما نقطة التحول الرئيسة في وعيه السياسي وخطه إزاء العلاقات المغربية الإسبانية والفرنسية، ستتأثر نتيجة حدثين رئيسيين:

سجنه سنة 1915: والذي كان نتيجة تعاطفه مع ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى، حيث سجن بمليلية، وحاول الفرار مرات عديدة، دون جدوى، كسرت في إحدى هذه المحاولات ساقيه أثناء محاولته للهروب من السجن. مكث في السجن 11 شهرا قبل أن يطلق سراحه ويعود لمزاولة مهنة القضاء في مليلية. في هذه المرحلة، تولد لدى الخطابي وعي وإحساس بالاضطهاد الاجتماعي

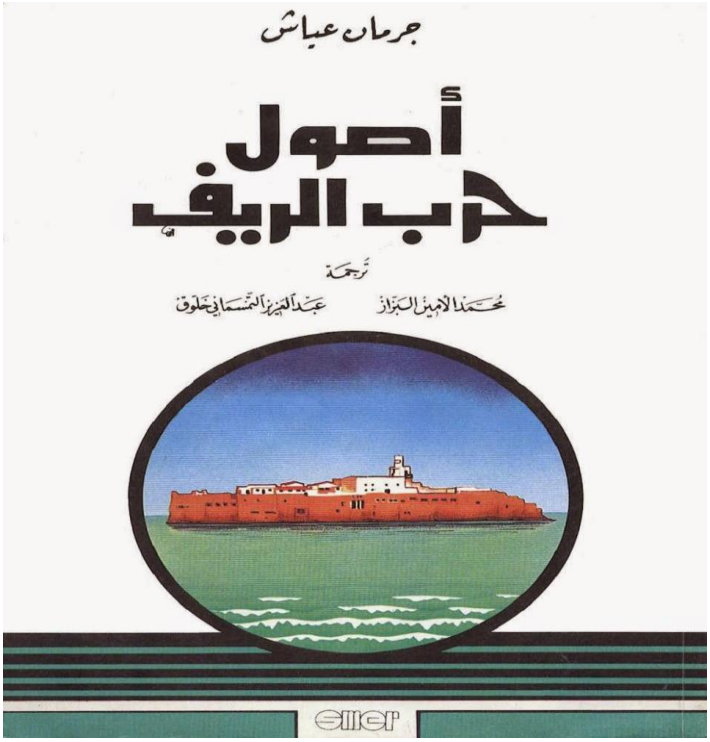

والسياسي الذي كان يولده الاستعمار لدى المغاربة، وشرع في تعبئة أهل الريف من أجل مقاومة الاستعمار.

أما الحدث الرئيسي الثاني فيتجلى خصوصا في انتقال الاستعمار الإسباني إلى مرحلة التغلغل العميق، الذي كان مرتكزا على قواعد رئيسة في السواحل المغربية الشمالية، وذلك مباشرة بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، عبر تكثيف التواجد العسكري، ونشر 63 ألف عسكري وتوسيع المواقع العسكرية على امتداد شمال المغرب. وهو ما لاقى معارضة قوية من طرف شيوخ القبائل وعلى رأسهم عبد الكريم الخطابي (الأب)، الذي انتقلت مقاربته للاستعمار، من الحياد الإيجابي إلى الرفض والتصادم.

تحولت تدريجيا العلاقة بين آل الخطابي والإدارة الإسبانية من التعايش إلى القطيعة. كان القاضي عبد الكريم الخطابي (الأب)، أول من نظم المقاومة الريفية سنة 1920، بمساعدة ابنيه محمد ومحمد (الذي قطع دراسة الهندسة بإسبانيا للالتحاق بوالده وأخيه سنة 1920). وكان لتعيين الجنرال سيلفيستري، حاكما عسكريا إسبانيا في منطقة الحماية الإسبانية بالمغرب، أثر كبير في هذا التحول، بسبب مقاربته العسكرية الصرفة،التي تحكمت في تحركاته الدبلوماسية وقراراته السياسية.

العمل المسلح : قرر الجنرال "سيلفيستري" التقدم على خط سيدي ادريس-أنوال-تفرسيت، وبالموازاة مع ذلك، عرضت على محمد بن عبد الكريم، عبر الوسيط إتشفاريا طا، مقترحا يسمح بالتوغل الإسباني في عمق الريف، مقابل تجهيز جيش ريفي يحارب فرنسا إلى جانب إسبانيا، علاوة على مبلغ 20 مليون بسيطة، إلا أنه رفضها. استمر سيلفيستري في التوغل، بهدف الوصول إلى خليج الحسيمة، وتمكن من إنشاء أكثر من 100 نقطة مراقبة عسكرية، من بينها نقطة دهارأوبارانالاستراتيجية (في 1 يونيو 1921). قام محمد بن عبد الكريم بمهاجمة النقطة برفقة 300 مقاتل، بطريقة مفاجئة، وأسفر الهجوم عن مقتل نصف الحامية العسكرية الإسبانية، إضافة إلى اغتنام الريفيين لقطع مدفعية ومعدات حربية أخرى. يعتبر المؤرخ الإسباني ريكاردو دي لا ثييربا بأن هذه المعركة كانت أول هزيمة حاسمة للجيش الإسباني في الريف، وساهمت في تقويض معنويات الإسبان، وخصوصا سيلفيستري الذي دخل التاريخ

"كأول جنرال إسباني يخسر مدافعه في أفريقيا". مباشرة بعد هذا الانتصار تقاطرت القبائل الريفية على مركز قيادة الثوار في تمسمان، وارتفع جيش عبد الكريم إلى 1000 مقاتل جلهم من بني وریاغل وبني توزين. حقق نصرا ثانيا في سيدي بيبان (شمال غربي أنوال)، فقد فيه الإسبان 314 جنديا. وقد كان نقطة التجمع الرئيسية للقوات الإسبانية في أنوال، واعتمدت الاستراتيجية الإسبانية على تأمين الموقع عبر حاميات في المناطق الجبلية.وحد صفوف قبائل الريف شمال المغرب. قبائل :بني وریاغل، تمسمان، بني توزين، بقيوة وباقي قبائل الريف وقبائل جبالة، وسماها ومن انضم إليها: "مجلس القبائل". حَوَّلَ صراعهم وقوتهم نحو العدو الإسباني الذي احتل جل القبائل القريبة من مليلية ووصل إلى قلب تمسمان وإلى أنوال وهنا دارت معركة أنوال) مايو 1921)الشهيرة حيث انهزم الإسبان

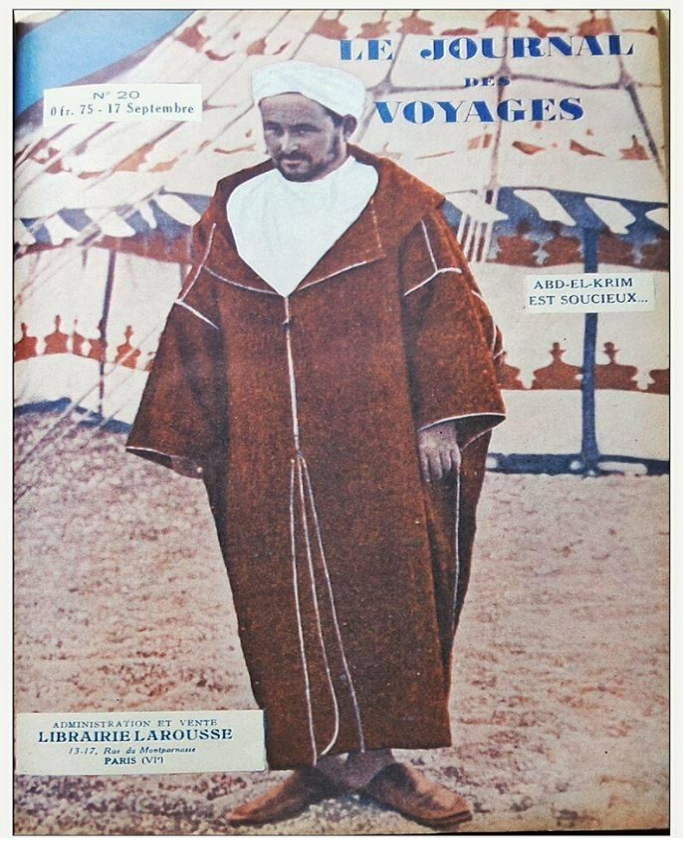

عبد الكريم الخطابي زعيم الثورة الريفية (1880-1963)

أمام المقاومة والاحتلال أمام التحرير والحرية، والآليات الحربية المعاصرة أمام عزيمة القبائل الثائرة المحاربة بالفصلقية . واندحر الجيش المتَظٌم والكثير العددأمام قلة من المجاهدين، وانهزم الجنرال سلفستري (الصديق الحميم للملك ألفونسو 13 ملك إسبانيا آنذاك).الذي وعد ملكه وجيشه والعالم بأنه سينتصر على الريفيين وسيشرب الشاي في بيت عبد الكريم الخطابي بأجدير وخاب ظنه لما أرغم جنوده على شرب البول بسبب الحصار المضروب على الجيش الإسباني أمام محمد بن عبد الكريم الخطابي .

وبعد تشديد الخناق عليه من الجيشين الفرنسي والإسباني، اضطر محمد بن عبد الكريم الخطابي، إلى تسليم نفسه في نهاية المطاف إلى سلطات المستعمر الفرنسي، حيث قرر الفرنسيون نفيه إلى جزيرة لاريونيون، استقر بعدها بجمهورية مصر العربية إلى أن توفي في 6 فبراير 1963 ودفن في مقبرة الشهداء بالقاهرة

يعتبر محمد بن عبد الكريم الخطابي من أشهر زعماء المقاومة بالمغرب، حيث تمكن من تنظيم قبائل الريف وكون منها وحدة متماسكة في وجه الاحتلال الاستعماري. وأعلن عن تأسيس جمهورية مستقلة بالريف، لكن التحالف الإسباني الفرنسي تمكن من الانتصار عليه واحتلال الريف ابتداء من 1926 .كان محمد بن عبد الكريم، عالما مقتدرا ومثقفا متنورا، وقائدا شعبيا عظيما.كان أبوه قاضيا محترما في الريف، وكانت له مراسلات عديدة مع ملوك المغرب، وهو الذي عمل مع بعض الزعماء المحليين على طرد بوحمارة من الريف، وهو الذي بدأ تنظيم المقاومة ضد الإسبان ليكمل ابنه المسيرة بعد ذلك.

ففي عام 1915 ألقى الإسبان القبض على محمد بن عبد الكريم، وكان موظفا عندهم، قد مارس القضاء والصحافة والتدريس بمليلية، وكانت التهمة هي تأييد تركيا ألمانيا ضد فرنسا وبالتالي التنكر للمصالح الإسبانية. وعلى الرغم من أن الإسبان لم يثبتوا التهمة ضد الرجل، فإنهم أبقوه في السجن، فما كان منه إلا أن دبر محاولة للفرار انتهت بسقوطه الذي نتج عنه كسر في رجله لازمه طول حياته. وتحول محمد بن عبد الكريم من متعاون مع الإسبان الى متزعم لحركة المقاومة ضد الإسبان. فلما تمكنت الجيوش الإسبانية بقيادة الجنرال سيلفيستري الذي عين قائدا عاما على الجهة الشرقية من احتلال قبائل بني سعيد وبني اوليشك ومطالسة وقسما من بني توزين وتمسمان، في سنة 1919، وأصبحت تهدد قبيلة بني وريا غل، قرر القاضي عبد الكريم الخطابي البروز بوضوح للوقوف في وجه الاحتلال الإسباني.

وبعد وفاة القاضي عبد الكريم، تزعم ابنه محمد المقاومة، وهو الذي اشتهر باسم عبد الكريم. وكان جيش الاحتلال بقيادة الجنرال سيلفستري يتحرك بسرعة، وابتداء من ماي 1920 احتل دار الدريوش بقبيلة مطالسة، الأمر الذي أثار القبائل المهددة بالاحتلال وفي مقدمتهم القاضي عبد الكريم الخطابي. وبعد مفاوضات واتصالات، توصل زعماء المقاومة في قبائل بني وليشك وبني توزين وتمسمان وبني وريا غل الى تنظيم حركة موحدة من المتطوعين للجهاد.وقد شهدت بداية سنة 1921 تحركات اسبانية في جبهة الريف، انتهت بقوات سلفستري الى احتلال مركز أنوال حيث تمركزت فيه قوة عسكرية كبيرة دون إطلاق نار، بل كان زعماء ريفيون مصاحبين للجيش الإسباني الذي احتل أنوال في 15 يناير 1921. وفي الوقت نفسه بذل المحتلون محاولات دبلوماسية للصلح مع عائلة الخطابي، في الوقت الذي كانوا يشجعون فيه زعماء أخرين على مساندة إسبانيا ضد الداعين للمقاومة.

معركة أدهار أبران :

في فاتح يونيو 1921، أقدم الإسبان على احتلال جبل دهار أبران، المقابل لجبل القامة حيث توجد حركة المجاهدين. فقد تمركزت قوة اسبانية في المكان وكان هدف القيادة العسكرية الإسبانية هو تهديد المجاهدين بجبل القامة بالمدفعية وطردهم بعد ذلك. لكن المقاومين وبفضل خطة مدروسة تمكنوا من محاصرة الجيوش الإسبانية من كل الجهات واحتلال الموقع بعد القضاء على القوات الإسبانية. وقد اعتبر جرمان عياش في كتابه جذور حرب الريف، معركة دهار أبران عملية فاصلة، تغيرت الأمور ابتداء منها. لقد كانت معظم القبائل الريفية التي وصلها الاحتلال غير مستعدة لإعلان الحرب على الإسبان، ورافضة لتأييد المقاومة، لكن الوضع انقلب رأسا على عقب بضربة أبران، التي كانت بمثابة صيحة استيقاظ للريفيين. وكانت عواقب هذه المعركة سيئة على الإسبان بحيث عرقلت عملة الاحتلال.

-معركة إغريبن:

منذ معركة دهار أبران امتلك الريفيون المبادرة، بحيث قاد محمد بن عبد الكريم قوة من المجاهدين واحتل مركز امساورو الذي يقع إلى الجنوب الغربي من أنوال، وأصبح في مواجهة مركز عسكري اسباني في إغريبن المركز المتقدم للدفاع عن معسكر أنوال. وقد عزز عبد الكريم الخطابي بحوالي خمسمائة مجاهد مدربين ونصحهم بالثبات لأن المعركة ستكون حاسمة. وقد بدأت الاشتباكات التي استمرت ثلاثة أيام عجز فيها الجيش الإسباني بقيادة سيلفيستري عن فك الحصار عن إغريبن، كما عجز بعض

القواد الريفيين المساعدين للإسبان عن زحزحة المجاهدين من مواقعهم. وعند ذلك قرر قائد مركز إغريبن فك الحصار بالقوة والانتقال إلى أنوال، فأبيدت كل قواته، وسقطت إغريبن يوم 15 يوليوز 1921.

الريسوني و الجهاد بالجبالة:

حاول الإسبان توسيع منطقة احتلالهم في المغرب، فقامت القوات الإسبانية في19 فبراير 1913 م باحتلال تطوان، وقد نهض الريسوني ورجاله لمواجهتهم، فاضطرت إسبانيا لإرسال تعزيزات عسكرية لقواتها من إسبانيا حتى وصلت القوات الموجودة في المنطقة إلى 40000 ألف جندي ، فدخلتها بدون قتال .وما كادت إسبانيا تدخل مدينة تطوان حتى تم تعيين الجنرال ألفاو ميندوثا مقيما عاما ونصبت المهدي بن إسماعيل خليف لسلطان المغرب يوسف، وقام الإسبان بدعوة الريسوني إلى مبايعة المهدي لكنه رفض وأعلن الحرب ضد الاحتلال الإسباني. أيقن الريسوني أن الاعتماد على قبيلته لمواجهة الاحتلال الإسباني في عدته ووعده أمر مستحيل، فقرر حشد أكبر قدر من القوى البشرية قبل مواجهته .وعليه عقد مؤتمر في 11 ماي 1913 م في منطقة الزينات وتقرر فيه بالإجماع الأسس والمبادئ السياسية والعسكرية للكفاح المسلح وحضر المؤتمر مندوبون عن مناطق الجبالة وغمارة والسواحل .وقد انتخب المؤتمرون الريسوني قائدا لحركة المقاومة في منطقة جبالة، كما تم انتخاب المجلس العلمي للثورة.

كانت خطة الريسوني في مواجهة جيوش الاحتلال تجمع بين الدفاع و المناوشة، فيترك الهجوم لقوات العدو ويستدرجها إلى مناطق الجبال الوعرة، حيث يتمركز المجاهدين و ا رء الصخور، فينقضوا عليها بالرصاص ويدحرجوا عليها الصخور، بالإضافة إلى القبض على رجالات الإسبان، في كل فرصة تسنح ليكون لديهم رهائن تفدى بالمال.

كانت القيادة ومجلس الشورى قد قرروا إنشاء رباطات للجهاد، انطلاقا من قريتي الزينات وبني قريش وبالمقابل قام سيلفيستر قائد القوات الإسبانية بإنشاء مركزين هامين كدية فريشكات بقبيلة الخلط وسوق اثنين سيدي اليمني بقبيلة الغربية وحتى يعطل المجاهدون بقيادة الريسوني مهمة هذين المركزين، إستولوا على فندق العين الجديدة، ثم طوقوا مدينة تطوان بالمراكز التي تركز فيها المجاهدون وهي :صدينة وخميس أنجرة. وفي 6 يونيو هاجمت قبيلة بني كرفط بناحية العرائش موقع كدية فريشكات ومعسكر الإثنين. وبعد أيام هاجمت أصيلة والقصر الكبير وقطعت بذلك المواصلات بين سبتة وتطوان؛ وأدى ذلك بألفاو إلى اقتراح هدنة جديدة، وشرط الريسوني عقد الهدنة بإعادة تطوان. وأمام فشله الواضح قدم ألفاو استقالته تاركا ولاية المفوض السامي شاغرة. إن تعيين الجنرال مارينا «البطل» سفاك سنة 1909 لن يفرض أي تغيير، فالمعارك ستستمر. وفي إحدى المعارك بالقرب من تطوان سيسقط المغاربة أول طائرة اسبانية من نوع «م.ف.أ» يوم 19 نونبر 1918. ومنذ 1911 الطيارون يتدخلون في العمليات العسكرية بتنسيق مع المشاة، وكانوا يقصفون الخنادق والأسواق والطرق والمحاصيل والممتلكات والمستشفيات والمدارس والأحياء المدنية والسكان المدنيين. كما أنهم كانوا يضربون المقاتلين بالمدافع الرشاشة ويأخذون الصور والرسوم الطوبوغرافية إلخ. واستعملت السفن الهوائية أيضا منذ 1909. وفي نفس التاريخ اقترحت مجموعة من الرأسماليين الألمان عرضا غير مألوف على الحكومة الإسبانية. وحسب صحيفة الأمبرسيال ليوم 13 دجنبر 1913، فقد عرضوا مساعدة الإسبان للوصول إلى اتفاق مربح مع الريسوني مقابل تنازل الإسبان عن كل حقوق الاستغلال داخل المنطقة لفائدتهم. وبعد الوصول إلى هذه الإتفاقية يجب على الإسبان سحب جيوشهم من المدن الساحلية التي كانوا يحتلونها قبل إقامة الحماية. وقد رفض هذا الاقتراح. وجاء العام الجديد 1914 بالحرب الأوروبية الأولى ومعها تقلص النشاط الذي يجري في المغرب. ومع انخفاض عدد الجيوش الفرنسية التي كانت بدورها تنظف منطقتها من العناصر غير المرغوب فيها. اعتبرت مدريد أن عليها أن لا تذهب أبعد ما يجب، وأصدرت التعليمات للتفاوض مع الريسوني مرة أخرى.

وصادفت وفاة المقيم العام **كوميث خوردانا** نهاية الحرب العظمى الأولى وعودة اهتمام فرنسا من جديد للقضايا الاستعمارية، مما سيؤدي إلى تزايد التدابير العسكرية لسحق المقاومة المغربية وبدأ المقيم العام الجديد برينكر بفرض إجراءات زحزحت سلطة الريسوني. فاحتج في رسالة بعثها إلى رئيس القيادة العليا الإسبانية **الكولونيل كوميث خورذانا سوسا** في فبراير 1919 على أعمال العقاب الجماعي في حق السكان. وفي نفس الوقت بعث برقية أخرى إلى المقيم العام يعلن فيها شن حرب جديدة، وعلى أحمد الريسوني استنهاض القبائل الجبلية، وعلى عزل الإدارة الإستعمارية الإسبانية، وقامت قواته بقطع الطريق الرابط بين تطوان وسبتة،

والطريق التي تصل بين طنجة والعرائش. وقد عرفت سنة 1920 إصرار القيادة العسكرية العليا على استكمال احتلالها لمنطقة جبالة، بحيث بلغت النفقات العسكرية الإسبانية رقما قياسيا جديدا هو 581 مليون بسيطة وارتفع عدد الجنود الإسبان إلى 166 جندي وتم توحيد القيادة العسكرية تحت سلطة **الجنرال برينكر**.

ونتيجة لهذه الاستعدادات تمكنت القوات الإسبانية بقيادة الكولونيل كاسطرو خيرونا من الاستيلاء على مدينة شفشاون، وبعدها بأيام قليلة أخضع بني يسف وبني زكار. والتقت قواته بالجيش الفرنسي الذي كان يزحف على الضفة اليسرى لنهر لوكوس والذي أتم سيطرة على مدينة وزان. وهكذا تمكنت القوات الإسبانية من إزالة نفوذ الشريف الريسوني تدريجيا عن منطقة جبالة.

المشروع الاستعماري لنفسه الشرعية فإنه لا يقتصر على إنتاج الخطابات، بل يستخدم أدوات عديدة تمكنه من اكتساب الشرعية ومن العمل.

أكيد أن الحماية لا تقتصر على هذين الجانبين فقط. ففي حالة المغرب قدمت الحماية حلولا لمجموعة من المشاكل السياسية والدبلوماسية التي واجهتها فرنسا. باعتبار السياق والفاعلين في ذلك الوقت ربما كانت الحماية هي الحل الاستعماري الوحيد الممكن.

تعمل الحماية كوسيلة لإضفاء الشرعية، باعتبارها الحفاظ على الجهاز السلطاني المخزني مسلمة سياسية فإن أنصارها رأوا فيها قبل كل شيء وسيلة لإضفاء الشرعية على السلطة الاستعمارية. يعتر **رينيو** النظام السلطاني أفضل غطاء للنظام الاستعماري:"إعطاء الكاتب العام الأوامر للقواد مباشرة ينطوي على سلبيات. من الضروري أن يعمل تحت عطاء السلطة الشريفة، لأن ذلك سيعطيه سلطة الفعل والتوجيه، واستخدام العبارات الشريفة سيجعل السكان المغاربة يقبلون تدخله بسهولة".[2]
وعلى صعيد آخر تلعب الحماية دور الإيدلوجيا من ثلاث زوايا. أولا لقد كانت لحمة وحدت مؤقتا بين النخبة الاستعمارية والنخبة السلطانية المخزنية. ثم كإديولوجيا للخداع عملت على إضفاء الشرعية على النظام الاستعماري. لقد شكلت الحماية خلال مدة الاحتلال كلها ما يشبه النص المؤسس، العقيدة المرجعية التي يرجع إليها الفاعلون السياسيون في حالة حدوث خلاف. الفكرة التي كانت تتكرر دائما هي: إذا حدث خلل في التسيير فلأن الإدارة قد حادت عن مبادئ الحماية.

[2] - عبد الله ابن المليح، التاريخ السياسي للمغرب إبان الاستعمار- البنيات السياسية- ترجمة محمد الناجي، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2012، ص 153.